

من أعلام المحدثين

الإمام أبو الفرج ابن الجوزى ٥١٠ - ٥٩٧ ﻫ

بقلم فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد
استاذ الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة




نسبه :

هو عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى ابن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه القرشي التيمي البكرى البغدادى .

كنيته ولقبه ونسبته :

كنيته أبو الفرج ولقبه جمال الدين واشتهر بابن الجوزى واختلف فى هذه النسبة فقيل ان جده جعفر نسب الى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة وقال المنذرى هو نسبة الى موضع يقال له فرضة الجوز وقيل هو منسوب الى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز و قيل بل كانت فى داره بواسط جوزة لم يكن بواسط جوزة سواها ذكر هذه الأقوال ابن رجب فى ذيل طبقات الحنابلة .

ممن روى عنهم :

نشأ يتيما أذ توفى والده وله ثلاث سنوات ولما ترعرع حملته أمه وعمته الى مسجد أبي الفضل بن ناصر وهو خاله فاعتنى به وأسمعه الحديث وحفظ القرآن وقرأ على جماعة من القراء وقد سمع الحديث فى صغره ولما بلغ رشده وفهم الطلب صار ينتقى من الشيوخ من هو أمثل من غيره وأكثر إفادة وقال متحدثا عن ذلك :

فلما فهمت الطلب كنت الازم من الشيوخ أعلمهم وأوثر من أرباب النقل أفهمهم فكانت همتى تجويد العدد لا تكثير العدد ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخى ذكرت عن كل واحد منهم حديثا ثم ذكر أهم مشيخته التى نوه عنها وعدتهم سبعة وثمانون شيخا من كبار شيوخه ومنهم القاضى أبو بكر الانصارى وأبو بكر المزرفى وأبو القاسم الحريرى وعلى بن عبد الواحد الدينورى وابو السعادات المتوكلى وغيرهم .

ممن رووا عنه :

روى عنه ابن الصاحب يحيى وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن فرعلى والحافظ عبد الغنى وابن الزبيدى وابن النجار وابن خليل والتقى البلدانى وابن عبد الدائم وغيرهم .

ثناء العلماء عليه :

وكان ابن الجوزى رحمه الله محل ثناء الأئمة وتقديرهم قال فيه الذهبى فى التذكرة : الامام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق وقال ابن رجب فى ذيل طبقات الحنابلة : الحافظ المفسر الفقيه الواعظ شيخ وقته وإمام عصره وقال الموفق عبد اللطيف : كان ابن الجوزى لطيف الصورة حلو الشمائل رخيم النغمة

موزون الحركات والنغمات لذيذ المفاكهة يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون لا يضيع من زمانه شيئا يكتب باليوم أربعة كراريس و يرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدا إلى ستين وله فى كل علم مشاركة لكنه كان فى التفسير من الأعيان وفى الحديث من الحفاظ وفى التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كاف وأما السجع الوعظى فله فيه ملكة قوية ان ارتجل أجاد وان روى أبدع وقال سبطه أبو المظفر: كان زاهدا فى الدنيا متقللا منها وما مازح أحدا قط ولا لعب مع صبي ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها وما زال على ذلك الاسلوب إلى أن توفاه الله تعالى، وقال موفق الدين المقدسى: كان ابن الجوزى امام أهل عصره فى الوعظ وصنف فى فنون العلم تصانيف حسنة وكان صاحب فنون وكان يدرس الفقه ويصنف فيه وكان حافظا للحديث وصنف فيه إلا أننا لم نرض تصانيفه فى السنة ولا طريقته فيها. قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان: كان علامة عصره وإمام وقته فى الحديث وصناعة الوعظ صنف فى فنون عديدة وقال ابن كثير فى البداية والنهاية: أحد أفراد العلماء برز فى علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف وكتب بيده نحوا من مائتى مجلدة وتفرد بفن الوعظ الذى لم يسبق إليه ولم يلحق شأوه فيه وفى طريقته وشكله وفى فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعانى البديعة وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والادارك بحيث يجمع المعانى الكثيرة فى الكلمة اليسيرة هذا وله فى العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات فى سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب و النظر فى النجوم و الطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو و قال وبالجملة: كان أستاذا فردا فى الوعظ وغيره.

آثاره :

ابن الجوزى من العلماء الذين أكثروا من التأليف فى فنون شتى قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان: صنف فى فنون عديدة ثم ذكر نماذج منها وقال: وبالجلة فكتبه أكثر من أن تعد وكتب بخطه شيأ كثيرا والناس يغالون فى ذلك حتى انهم يقولون : انه جمعت الكراريس التى كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسعة كراريس وهذا شىء عظيم لا يكاد يقبله العقل ويقال أنه جمعت براية أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شىء كثير واوصى ان يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها ، وقال الذهبى فى العبر : صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة فى أنواع العلم من التفسير والحديث والفقه والزهد والوعظ والأخبار والتاريخ والطب وغير ذلك وقال الذهبى فى التذكرة: وما علمت أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل. وقال أبو العباس ابن تيمية : وله مصنفات فى أمور كثيرة حتى عددتها فرأيتها أكثر عن الف مصنف ورايت بعد ذلك له ما لم أره وقال: وله من التصانيف فى الحديث وفنونه ما لم يصنف مثله وقد انتفع الناس به وهو من أجود فنونه وله فى الوعظ وفنونه مالم يصنف مثله ومن أحسن تصانيفه ما يجمعه من أخبار الأولين مثل المناقب التى صنفها فإنه ثقة كثير الاطلاع على مصنفات الناس حسن الترتيب والتبويب قادر على الجمع والكتابة وكان من أحسن المصنفين فى هذه الابواب تمييزا فإن كثيرا من المصنفين لا يميز بين الصدق فيه والكذب. وقد ترجم له الحافظ ابن رجب فى ذيل طبقات الحنابلة ترجمة مطولة فى أربع وثلاثين صفحة سمى فيها ما يزيد على مائتين من مصنفاته فيها المختصر والمطول ومن أشهر المطبوع منها زاد المسير فى علم التفسير

وكتاب صفة الصفوة وكتاب الموضوعات وكتاب مناقب الامام أحمد وكتاب ذم الهوى وكتـاب الوفاء بأحوال المصطفى ﷺ وكتاب تلبيس ابليس، وقد ذكـر الحافظ بن رجب فى ترجمته أنه مع ما حصل له من التصنيف وكثرة الثنـاء عليه للناس فيه كلام من وجوه منها كثرة أغلاطه فى تصانيفه وقال وعذره فى هذا واضح وهو أنه كان مكثرا من التصانيف فيصنف الـكتـاب ولا يعتبره بل يشتغل بغيره وربما كتب فى الوقت الواحد فى تصانيف عديدة. ومنهـا ما يوجـد فى كلامه من الثناء والترفع والتعـــاظم وكثرة الدعاوى ثم قال ابن رجب: ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف والله يسامحه. ومنها ميله إلى التأويل فى بعض كلامـــه ثم قال ابن رجب: ولا ريب أن كلامه فى ذلك مضطرب مختلف وهو وان كانـ مطلعا على الحديث والآثار فى هذا الباب فلم يكن خبيرا بحل شبه المتكلمين وبيان فسادها.

وفاته:

توفى ليلة الجمعة ثانى عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغدا دودفن بباب حرب ارخ وفاته بهــــذا ابن خلـكان فى وفيات الأعيـان وقال: وكانت ولادته بطاريق التقريب سنة ثمان وقيل عشر وخمسمائة وقال وتوفى والده سنة أربع عشرة وخمسمائة وأرخ وفاته بهذا ابن كثير فى البداية والنهاية وقال: وله من العمر سبع وثمانون سنة وحملت جنازته على رؤوس الناس وكان الجمع كثيرا جدا ودفـن بباب حرب عند أبيه بالقرب من الامام أحمد وكان يومـا مشهودا حتى قيل انه أفطر جماعة من الناس من كثرة الزحام وشدة الحر وذكر أنه كان له من الأولاد الذكور ثلاثة وأن له عدة بنات رحمه الله.

ممن ترجم له :

١ ــ ترجم له ابن رجب فى ذيل طبقات الحنابلة ١ /٢٩٩
٢ ــ والذهبى فى العبر ٤/٢٩٧ وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٥
٣ ــ وابن العماد فى شذرات الذهب ٤/٣٢٩
٤ ــ وابن خلكان فى وفيات الأعيان ٢/٢٢١
٥ ــ وصديق خان فى التاج المكلل ٦٤
٦ ــ وابن كثير فى البداية والنهاية ١٣/٢٨
٧ ــ والاكمال للخطيب التبريزى آخر المشكاة ٣/٨٠٨
٨ ــ وابن تغرى بردس فى النجوم الزاهرة ٦/١٧٤
٩ ــ وعمر رضا كحالة فى معجم المؤلفين ٥/١٥٧

